السكون

مسرحية ذات فصل واحد

تأليف / جلال جميل

الشخوص

رجل ــ امرأة

المشهد الأول

الزمن : بعد الحرب العالمية الثالثة.

المنظر: قسمت خشبة المسرح الى اجزاء ثلاث، الجزء الايمن فيه دمى باشكال ادمية والجزء الايسر ، فيه تماثيل لاشكال بشرية من مختلف الحضارات الغنرة في القدم : وادي مابين النهرين ، وادي النيل ، اليونان القديمة ... الخ .... اما وسط المسرح فيربط الجزأين ببعضهما مع البعض الاخر .. خلفية المسرح بنايات ن عمارات باشكال هندسية غاية في الروعة والجمال .. في وسط المسرح شجرة يابسة واقفة وشجرة اخرى ممدودة .

المرأة : " بقعة ضوء صوت من داخل جذع الشجرة الواقفة " اعذروني ، منذ الان ابحث عن مكان آمن أجد لي فيه دنيا أخرى ، هروبا من الذرة والهيدروجين ، كلمت نفسي فرددت الطبيعة كلماتي واحتضنتني ، فوجدت إن أفضل مكان آوي اليه هو جذع شجرة يعصمني من الامطار الكارثية .

الرجل : " في شاشة في اعلى وسط المسرح دخان كثيف على ساحل البحر امام هيكل عظمي لحوت كبير" ذهبت إلى البحر فهالني مارأيت " نراه وسط دخان كثيف " فقذفت نفسي في البحر .. فاذا بي في بحر من الظلمات .. دام كثيرا .. طويلا .. وبعد ايام وجدت نفسي جالسا اتربع على ساحل البحر " نراه بعد ان ينقشع الدخان " وكل ما حولي رماد وتراب . حزنت ،جعلت من انين الاصوات سكونا تمزقه فرقعات ودوي انفجارات . ماء البحر تغير لونه ... تلمست جسدي فتأكدت اني كنت في بطن حوت . عالم غريب ، حيوان يحميك من الاسلحة الكارثية .

المرأة : " لا ترى يسمع صوتها فقط " لاأخرج منه حتى تصمت كل الاصوات ، فلا اسمع دوي قنابل ولاصوت أزيز أطلاقات رصاص ولا اشمّ رائحة غاز ولا ذرات عالقة بشعاع ، ولا مأكل يشبه تلافيف الدماغ ولا ملبس إلا ما أنا فيه . عالم غريب الاطوار .

الرجل : " يمدّ ساقه من خلف الشاشة بدءاً ثم يخرج جسده كليا فيرى حيا على المسرح " سأبحث عن عالم جديد .. أو عن انسان بقي مثلي وقد طواه النسيان . "

يسمع صوت المرأة من داخل الشجرة " ما هذا ؟ اسمع صوت إنسان .. صوت .. صوت امرأة ، لاصوت ريح او حركة غبار متعدد الالوان " يسمع انيناً " حقا اني في عالم جديد ، شجر متيبس يتكلم ، هياكل حديدية تصرخ .. تنادي من يداعبها ، وعمارات عالية تبكي ، تبحث عن ساكنيها .. غريب هذا العالم الذي انا فيه .. ماهذا الصوت الغريب الذي يدّق سمعي من بعيد ؟

المرأة : " من داخل جذع الشجرة " ما وجه الغرابة فيه ؟ .. انا مثلك ، أحس إني في عالم غريب " يختبئ الرجل خلف الشاشة " انسان مثلك ، ابحث عن رفيق ، ابحث عن صديق ، ابحث عن حبيب .. انسان يبحث عن اهله ، يبحث عن قومه ، يبحث عن روح .

الرجل : اي بلد تريدين ؟

المرأة : لا اعرف ، اختلط الامر علي ، وتحيرت فيه .

الرجل : قد اكون الذي تطلبينه .

المرأة : صوتك غريب ، لم اسمعه من قبل .

الرجل : ما السرّ فيه ؟

المرأة : متكسر .. متهدج .. وينوح .

الرجل : الشكوى نفسها التي تقولين .

المرأة : متى يصمت هذا الكون اللعين .

الرجل : غاب قوسين أو ادنى .. لننتظر الى حين .

المرأة : لم لم ينتظراصحاب الشأن على المواعيد ؟ ارادوا هذا الكون ركاماً .. حطاماً .. رماداً من اجساد البشر لا غير .

الرجل : حقت عليهم لعنة ابدية .

المرأة : اولم يعرفوا مقدار الاذى ؟

الرجل : تصورها اربابهم لعبة ونزهة سياحية .

المرأة : لقد حاق بالبشرية الموت الابدي .

الرجل : اخرجي اذا كنت كما تدعين انسية .. ارينـي وجهك القابع داخل هذا الجذع المتيبس الذي تأوين ..اخرجي لنتجاذب اطراف الحديث .

المرأة : هل ابدو في نظرك جميلة اذا خرجت وجلسنا سوية ؟

الرجل : قبل ان اراك !

المرأة : لمَ لا ؟ .. الا تسمع صوتي ؟

الرجل : نعم اسمع .. فيه نغمة عذبة صافية .. وهكذا وجهك فيه صفاء صوتك وان كنت انا سأبدو لك جميلاً ؟

المرأة : الا اذا رأيتك ؟

الرجل : ولكني ازدري نفسي .

المرأة : لنرى بعضنا الاخر .. ولا تقل لي .. ولا حتى كلمة واحدة عن شكلي ، وانا افعل الشئ نفسه .

الرجل : نكتب معاهدة .. نعد احدنا الاخر .. ان لاينظر اي منا في المرآة .

المرأة : نكتب .

الرجل : نعقد قراناً .

المرأة : بهذه السرعة ! اين رجل الدين ؟

الرجل : امام الرب .

المرأة : اذا كان الامر هكذا .. فلنفعل .

" تخرج المرأة من جذع الشجرة ، ويقترب الاثنان بعضهما من بعض ويصرخان بقوة ، ويتراجعان الى الخلف لكثرة التشويهات الخلقية على وجهيهما "

المرأة : مابك ؟

الرجل : لاشيء .. "مع نفسه " هل اقول لها انظري الى وجهك في المرآة ؟ .... وقد تعاهدنا ان لانفعل . أأقول بأن ... بأن لاشيء على الارض اقبح من وجهك الذي اكله الغبار الذري .. لو قلت لها ذلك ، لطلبت ان تدفن وهي حية .. لا اتحمل عبء صورتها ولا اقاوم صراعات نفسي .. ماذا لو فعلت ذلك .. عندها سأجد نفسي وحيداً .. أأكل بعضي . . لاصارحها بالحياة ..علي ان لا ابحث في الجمال ، لانه زائل ابداً . علي ان اجد لجنسي البشري طريقا للبقاء ، فأنا وهي نستطيع ان نعمّر الديار ، منها بيضة ومني حيمن ، وحينها يكون الاستقرار " يخاطبها " وانت مابك ؟

المرأة : لاشيء .. اصابتني الدهشة لاني لم اتوقع رؤية انسان ." مع نفسها " أأقول له بأن رحمي مأوى مشوهين؟ هل اكتب على نفسي موتاً من داخل احشائي .. علي ان اجد جليساً يؤنسني .. يرفع همومي ويزيح عني بلواي . ان ما في وجهه وجسده يقشعّر له الجسد وتهتز له الاوصال .. رباه ماهذا ! .. انسان يشوه وجه انسان.. يا لقذارة هذا الكون ، حكموا عليه بالموت ، فأبقوا فيه هياكل شاخصة وابدان حديد . لكني اتسأل كيف بقيت انا ؟ عفواً نسيت ، ان جذع شجرة حماتي من هذه الاقدار .. ماذا قلت اقدار .. اني امازح نفسي . بل اقدار دمار من صنع انسان لاخيه الانسان . هل ابحث عن جمال فيه ؟ فهو مثلي .. لاتريد نفسي ان تراه .. فهو اقبح من ان تستوعبه كل الاوصاف .. سأدنو واهمس في اذنه ، بأنه ملاذي الاخير ، مع شدة قبحه .. كلا .. كلا .. سأجيبه على قدر السؤال .. عفواً كنت اعتقد ان صوتك صوت روح او شبح او انين اموات .

الرجل : كلا .. حسبت ان في الامر شيئاً ما .. اسأل ، هل لك زمن وانت في هذا المكان ؟ الست جائعة ؟

المرأة : لقد طوى الجوع بطني .. اكلت كثيراً .. ولو قلت لك : إني أكلت بالأطنان منذ الصباح وحتى الان لما صدقت .

الرجل : وهكذا فعلت انا ايضا .. هناك الكثير من المعلبات التي لم تمسسها يد انسان .

المرأة : اي انسان . الا تدرك ان لاوجود له . اني لا أرى في الافق سوى الابنية العالية والاعمدة والاسلاك وحطام الأسلحة ووهجاً برتقالي اللون يملأ الفضاء ، اثقل نفسه علينا كالكابوس.

الرجل : احس اني شره جداً .. واني اتهم الدنيا ولا اشبع .

المرأة : اعاني الهمّ نفسه .

الرجل : ماذا نأكل لو انهك قوانا الجوع ؟

المرأة : نبحث في اي مكان اذا انتهت هذه الاطنان .

الرجل : علينا ان نحصي كم من الاطنان بقي لنا والى اي مدى يطول بنا المقام .

المرأة : لنطوف على الدنيا .

الرجل : كيف !

المرأة : سيراً على الاقدام .

الرجل : هل جننت ؟ سينتهي بنا المطاف عند بضع الاف من الكيلومترات .

المرأة : سنمشيها بالاقساط . " دخان كثيف على شكل كتل والوان تتحرك عموديا وافقيا ، وتتحرك المرأة على يمين خشبة المسرح داخل الدخان بين مجموعة من الدمى ويتحرك الرجل في يسار خشبة المسرح داخل الدخان بين مجموعة من التماثيل "

المرأة : اين البشر ؟ اترى هذه الاشكال من صخر ؟ لا .. لاتبدو بشرا ترتدي ازياءها الاصلية " تمدّ يدها على واحدة منها " هذه مكتوب عليها ... ياه يخونني النظر .. وهذه آدمية .. حقا انني في غاية انسية .. هذه صغيرة " تشير الى واحدة " لم ينبت لها نهد ..لابحث عن دم يجري في قلب اجداها او شريان ينبض في جسد،عن نفس اجالسها هنيئة واخرى الاطفها مودة ، وثالثة اخاطبها ، ورابعة " تدور بين الدمى" أهدهدها لتنام لرؤيا .. نامي قريرة العين ياحبيبتي.. ليس لي فيك اذى .. اه .. هذه واحدة كشفت عن ساقها لتبدو اكثر بهاءً كالثريا .. وانت ياصغيرتي .. لاتبكي سأرضعك من نهدي هذا لبناً شهيا . " تخرج ثديها مجازا ولكنه لا يرضع ، فتفيق من الحلم وتصرخ " لا.. لا.. كلها دمى اخذت اشكالا بشرية .. لا.. لا.. " خفوت في الاضاءة وظهور لها في الجانب الايسر، حيث التماثيل الحجرية الكثيرة "

الرجل : " الى جانب احد التماثيل " بشر كلهم من حجر .. اية مدينة هذه ! لا احد يتحرك فيها ، لا احد يصرخ ، لا احد يسمع " يصيح عاليا " : يا اهل هذه المدينة ، هل غاب عنكم الغبار ؟ .. اجيبوني ! هل في دياركم مأتم وطال .. " يتقدم الى تمثال اخر " اجبني بحق من انت ؟ .." صامت لايجيبه ".. هل شهدتم المأساة؟ ألم يروعكم دوي او صوت انفجار ؟ .. " يتحرك الى تمثال اخر " اخرج هذا القابع في جوفك ، اصرخ . أن العالم افسده حفنة تجار .. لعبوا بالنار ، فاحرقوا الكون ولم يتركوا الا الاثار .. جدران واعمدة ودخان .. دخان يأكل كل حي ويرطب الشقوق فيقتل كل حي يعيش داخل الغار .. " يتجه الى تمثال مفتوح الفم " لماذا تمسك هذه الصرخة ؟ اطلقها .. اطلقها .. " يسقط " عفوا نسيت وما الفائدة الان .. لقد فات الاوان .. نسيت نفسي وتركت رفيقتي تنتظر .. " يخاطب التماثيل " ، عفوا سادتي .. نسيت انكم قد عانيتم مثلي وإنكم اعترضتم ، ولكن ، ما الجدوى الان . سلام عليكم .. للأعود .. فهي بالانتظار " يصيح عاليا " أتسمعين صوتي ؟

المرأة : نعم اسمعك .

الرجل : هل احصيت شيئا ؟

المرأة : ما يكفي لمئة عام .

الرجل : وانا ايضا .. احصيت ما يكفي سبعين عاما .

المرأة : والماء .

الرجل : لاتقربيه .

المرأة : لماذا ؟ !

الرجل : لانه اشبه بالمرآة .

المرأة : كيف نعيش من دونه ؟

الرجل: نكدره قبل ان نقربه .

المرأة : نفعل ارضاء للحياة .

الرجل : نسيت ان اسألك .. ما اسمك ؟

المرأة : وهل هناك اسم امرأة غيري تناديه .

الرجل: شئ يدفعني اليه .

المرأة : اذكر اسمك انت اولا .

الرجل : لمَ .

المرأة : كي اناديك .. قد تكون عدوا . فمن اين لي ان اعرف . لقد اخفى الغبار الذري كل شئ فيك ، حتى ملامح وجهك .

الرجل: اذاً الافضل ان تناديني .. يارجل .

المرأة : والافضل ان تناديني انت .. يا أمرأة . لقد فعل الغبار بي ما فعل بك .

الرجل : ماذا نفعل الان ؟

المرأة : انت تعمل وان اهيأ لك الدار .

الرجل : كل شيء توفر المأكل والملبس والماء .

المرأة : فكر .

الرجل : ما هو التفكير ؟

المرأة : نتسامر .

الرجل : والى متى ؟ يأكلنا الجزع بعد حين .

المرأة : ننجب اطفالا .

الرجل : بهذه السرعة .

المرأة : لننام بعض الوقت . الرجل : وبعد النوم ؟

المرأة : ننام ثانية .

الرجل : لو كنا نبحث عن النوم لفعلنا كما فعل الاخرون ، وكنا نياما الى ابد الابدين .

المرأة : نبتهل الى الاله .. ان يأتين بمولود في اقل من خمسة شهور .

الرجل : أنسيت ان الحمل تسع او سبع وفيما عداه يموت

المرأة : اذاً لنعد مع الاخرين . نعود اموانا .

الرجل : والمعاهدة التي كتبناها بيننا ؟

المرأة : نمزقها .

الرجل : نمزقها !

المرأة : اذاً لنتحادث هكذا او نأتي موضوعا اثر موضوع .. وننام .. ونعود قعودا للحديث الى ان يأتي يوم الوليد

الرجل : نصبر .. نتحمل .

المرأة : لنعيد بناء الكون من جديد .

الرجل : كما فعلا آدم وحواء .

المرأة : " مداعبة " ومن دون قطف التفاح .

الرجل : " يقاطعها " بل نأكل التفاح كي نعود .

" يستمر الحديث بينهما ويخفت مع خفوت الضوء تدريجيا"

إظلام

المشهد الثاني

" المرأة في حالة ولادة يرافقها اصوات وموسيقى مخيفة"

المرأة : الهي .. توجهت اليك شاكية ،اي ولادة عسيرة هذه ، احس ان عظاماً تمزق احشائي .. يا .. يا .. ياه .. ما اسم زوجي ؟ كي انادي عليه .. يارجل .. يارجل .. لاشيء سوى صدى صوتي الذي اعيش ، اي يأس هذا الذي اعيش فيه ... اي ..

الرجل : " مقاطعا ومتعبا " لابأس تعيشين .. انا هنا وانت تتضرعين .

المرأة : اني جاهدة والوليد على ابواب النور .

الرجل : كلا .. كلا .. اعيديه الى رحمك بسرعة قبل ان يرى النور .

المرأة : ماذا .. ما هذا الكلام .. لنا شهرا من الانتظار وتقول اعيديه ؟

الرجل : نعم من اين لي ان اطعمه ؟

المرأة : ألم نحصي الاطعمة وكانت بمئات الاطنان ؟

الرجل : انسيت انك قلت .. ان الجوع قد اخذ منك الكثير ، فتأكلين في الصباح بالاطنان وكذلك في المساء .

المرأة : وكذا حال الطفل .. يأكل مثلنا .

الرجل : فيشاركنا الطعام ! .. ونحن على ابواب الهلاك . من يضمن اني استطيع ان اعيش اكثر من ايام من دون طعام

المرأة : نجد الكثير غيره .

الرجل : اذا رأى النور اجهزت عليه .

المرأة : اي قلب قاس تحمل ! .. ألم تقل انت كلي التفاحة لنعمر الدنيا من جديد ؟

الرجل : كلام قلته بالامس لم اعد اذكره .. ما يقال في الليل يمحوه النهار .. والعكس يحصل ايضا .

المرأة : ألم تطلب مني الزواج كي نجد انيساً ؟

الرجل: اليك عني واعادة ما فات .

المرأة : وانا ماذا افعل ؟ .. اني أم لها قلب مملوء بالحنان .

الرجل : حنانيك ياامرأة ، لك ولي .. ما بالك اضعت علينا الحياة .

المرأة : طفل يولد اضاعة للحياة ! يا لعجبي من الدنيا ، تبدل الحنان الى قسوة .

الرجل : ارجعيه الى رحمك ولا تقدمي لي المواعظ .. ان الذي اضاع البشرية كثرة مواعظها التي لم تدم .

المرأة : اذا كان البعض عاصيا ، فما ...

الرجل : " مقاطعا " سأقلب راسك الى اسفل ورجلاك الى اعلى كي يعود الطفل كما كان .

المرأة : بالله عليك حرام .. حرام ما تفعل .. ابنك من دمك وظفرك تأتي عليه !

الرجل : والا تركتك ورحلت .

المرأة : كلا لاتدعني هكذا .. اقدم لك شيئا .. نتقاسم الطعام .. انا والوليد بالنصف والنصف الثاني لك .

الرجل : دعيني افكر بالامر قليلا .

المرأة : لا اريد ان افقدك .. سأنادي عليك من الان ادم .

الرجل : وسأنادي عليك حواء . . واني على عهدي ، نصف الطعام لي والنصف الثاني لكما .

المرأة : الان ساعدني كي اضع الوليد .

الرجل : اجلي الوضع قليلا .

المرأة : لم اعد احتمل .. اكلت جسمي الحمى .

الرجل : ضعيه ولكن لادخل لي في مداراته .

المرأة : " تضع الوليد " آدم ما شكله ؟ لماذا لايصرخ ؟ هل هو

الرجل : " مقاطعا " ولمَ يصرخ ؟ .. لاتبفين سوى الازعاج .

المرأة : اذا لم يصرخ معناه لاحياة .

الرجل : انه يتحرك . . مفتوح العينين .. ماهذا !

المرأة : ماذا !

الرجل : بريق من نور يأخذ البصر يصدر من العينين .. انه ليس بشراً . . ليس بشراً .

المرأة : ماذا ؟ ارني .

الرجل : " يحمله بيديه ويقدمه لها " خذيه .. ابعديه .. اقتليه ..

المرأة : " تأخذه بيديها وتضمه الى صدرها " لا .. لا .. انه رحمي .. انه رحمي من دمي ..

الرجل : اسمعيه .. لاصوت .. اهو من البشر ؟

المرأة : ماذا اذاً ؟

الرجل : صوت حديد يحتك .. يرن ..

المرأة : من خوفه منك يصطك .

الرجل : اسمعي .. ليس لحما ودما بل الة .

المرأة : اضحكتني .. انك تنكت .

الرجل : اقول الصدق .. فلا داعي للضحك .

المرأة : هوّن عليك .. في هذه الحالة ..لايأكل .

الرجل : " مقاطعا " ماهذا الذي في فرجك .. واحد اخر .. وذاك اخر .. واخر ..كلا.. كلا.. انهضي " يسحبها " قلت انهضي .

المرأة : لااستطيع .

الرجل : لاتوهمي نفسك .. انهضي .. انهضي .. يالهي ماهذا واحد .. اثنان .. ثلاثة .. اربعة .. خمسة .. ستة .. سبعة .. كلا .. كلا .. ثمانية .. تسـ ....." يسقط مغشيا عليه وينادي بصوت ضعيف " حواء .. حواء .

المرأة : نعم .. نعم . " يسمع صوت ضجيج اعداد كبيرة من الانسان الالي يرافقها اصوات رياح وكذلك برق ورعد وضوء ملون" .

الرجل : " ينهض " لا.. لا.. لقد احكموا اللعبة .. واكملا النزهة ..الفناء الابدي .. الفناء الابدي .

المرأة : ادم .. ادم . " يمدّ يده اليها .. صوت دوي واضاءة قوية تأخذ ابصار المشاهدين فيسقط الاثنان سوية ، ويأتي صوت انين "

صوت : " بالايكو عبر مكبر الصوت " هكذا هي نهاية الكون .. ستبقى الارض تئن وتنحسر الى لايوم ، الى حيث اللانهاية .

إظـــــــــــلام

** صالح كريم عباس

- مواليد البصرة – المعقل ١٩٤٧
- بكالوريوس فنون تشكيلية / الرسم
- خريج أكاديمية الفنون الجميلة ١٩٧٣ – ١٩٧٤
- دخل المعهد الإذاعي والتلفزيوني دورة السينما والتصوير السينمائي وتعلم الكثير من المخرج العربي الكبير توفيق صالح
- مصمم في تلفزيون بغداد ومصمم ديكور
- عمل في مركز الوسائل التعليمية قسم التصميم والرسم
- عمل في تلفزيون البصرة مصمم ومصور
- كان من رواد معهد الفنون الذي افتتح في البصرة حيث عمل مع الأستاذ الفنان محمد راضي وتولى منصب رئيس قسم الفنون التشكيلية للعام ١٩٩٨
- أقام معارض عديدة في المعهد واشترك بمعارض المحافظة كافة
- عمل في مجلة البصرة التي يصدرها المركز الثقافي في جامعة البصرة رساما ومصمما
- سافر إلى العديد من دول العالم وأقام معارض واشترك بمسابقات فنية
- عمل في جامعة آل البيت كمدرس فنون تشكيلية ومدرس فنون في معهد العمارة والفنون الإسلامية
- مدرس للتربية الفنية في تربية البصرة
- رسم قصص للأطفال وكتابة السيناريو لها